وتبرز قيمة فن التصميم كنشاط بشري من خلال خاصية الجاذبية التي يتصف بها ويحرص المصممون على تكريسها في أعمالهم كسمة أساسية مميزة حتى بالمقارنة مع أعمالهم السابقة، وتتسابق التصاميم يومياً لطرح أشكال جديدة ومثيرة وجذابة تمثل الصورة الأولى لذاكرة الإنسان، ومن الناحية الإدراكية نعلم أن الصورة التي يراها الإنسان هي الصورة الأكثر أهمية لغرابتها وعدم وجود أرشيف لها في الصور العقلية المختزنة في الذاكرة، مما يزيد تأمله محاولاً إدراكها وتفسيرها.

ويصف المصمم المعماري عناصر متعددة تصل إلى حالة أن لا دخل لها في أصل المنشأ المعماري وهي عناصر تضيف لمسات فنية تثير البصر وتجذبه وتجعل من العمارة ذات خصوصية جمالية مميزة، كما تؤدي العناصر التي تتصف بالجاذبية في فن التصميم الداخلي دوراً إرشادياً ووظيفياً في طبيعة الحركة والأداء والأهمية والقيمة داخل فضاء محدد، وبالتالي فإن الجاذبية تعيد ترتيب العناصر وفق قيمها الشكلية الجمالية الجذابة التي ترتبط بوظيفة معينة. كما يجتهد المصمم في تحديد درجة جاذبية عناصره للوصول إلى وظائف ودرجات متعددة من الأهمية داخل التكوين الفني للفضاء. ويعمل المصمم الحاذق بجعل العناصر والخطط التنظيمية الأكثر إثارة للجاذبية) فقد تكون في أشكال الخطوط أو الألوان أو الإثارة أو الصوت أو نوع الحركة أو العزلة..... إلخ.

واستعراضاً لأشكال التصاميم الصناعية والطباعية والكرافيكية، فإن أمثلة عديدة ستتطابق حول صحة جدوى جاذبية العمل في لغة الشكل الفني.

فهل لهذه الجاذبية حدود في التصميم وهل نستطيع إدراك مستواها؟ لا شك أن الجاذبية المقصودة في فن التصميم هي التي تثير المتعة والطرافة والجمال إلى حدود ملحوظة تكون غالباً أكبر من الحالة الطبيعية التي تثيرها بقية الأشياء وتجعل الإنسان يشعر بأنه من النافع إدراكها وتأملها، بل إن العديد من الأشياء قد تثير الدهشة والتعجب لجمالها وتأثيرها الساحر، ولكل منا تجربة خاصة في القدرة على تمييز الأشياء التي تثير الدهشة أو الإعجاب أو الرضا أو السرور. ويعتمد ذلك على خبرته ومستوى حاجته إلى تلك الأشياء.

ويبرز في فن التصميم سمة تميزه كفن يتفق إلى حد بعيد مع معايير نظرية الجمال الفني، ألا وهو أن الموضوعات التي يثيرها فن التصميم هي موضوعات مركبة أو تركيبية تستقي الكثير من أهميتها من علوم ومعارف مجاورة، وبالتالي فإن هدفها ليس هدفاً واحداً فقط كما يثار في موضوع الجمال في العمل الفني فقط، بل أهداف متعددة بين الجمال والنفع والوظيفة والأداء.

وهذا التركيب هو الذي يشكل السمة المميزة للتصميم كفن له شروطه ومعاييره الخاصة.

ونلحظ ذلك في كل التصاميم التي يتداولها الإنسان في بيئته، فالتصميم لا يمكن أن تكتمل صورته بناء على جهود المصمم المعماري، وإنما هناك فريق عمل كبير له تخصصات دقيقة تملأ ذلك الوعاء الذي يحتويها ونسميه الشكل المعماري. والأشكال الصناعية تخضع للعديد من الحسابات الهندسية والميكانيكية والبيولوجية والحركية في شكل يحتويه نطلق عليه تصميماً صناعياً.

الجمال الفني والفائدة Artistic Aesthetics and benefit

إننا حين نبحث عن معان مرادفة لمعنى الجمال في مثل هذه الأشياء الفنية التي تشغل بيئة الإنسان، نصل إلى معنى كبير قد ينافس الجمال أو يتفوق عليه ألا وهو (الفائدة) حتى اقترن المعنيان في فن التصميم بدلالة وظيفة واحدة وأصبح الجميل في فن التصميم يدل على الفائدة أو الشيء المفيد الذي يحمل قيمة جمالية عالية.

وفي تاريخ العمارة والصناعة والطباعة مازلنا نعد تلك الأشياء والتي أنتجت في زمن مضى وعلى رغم انتهاء وظيفتها ذات أشكال كانت تخدم أغراضاً جمالياً فنحول المباني القديمة إلى متاحف كونها جزءاً من الذاكرة الحية المتواصلة للمجتمع وتحتفظ بأدوات كثيرة تمثل حضاراتنا الغابرة في متاحف خاصة كالأواني والرماح والأزياء والمخطوطات....